مجلة دراسات تاريخية EISSN: 6723 -2600 ISSN: 9741-2352
المجلد: التاسع العدد: الاول السنة: صفر 1443 / سبتمبر 2021 ص ص 135– 152

عبد الرحمان الكواكبي، سيرته ومشروعه لتوحيد العالم الإسلامي من خلال كتابه أم القرى .

Abd al-Rahman al-Kawakibi, his biography and his project to unify the Islamic world through his book Umm al-Qura.

ط.د/ سعيد فرج
جامعة يحي فارس – المدية (الجزائر)
مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور
bt.med@hotmail.com
أ.د/ محمد بوطيبي
جامعة يحي فارس – المدية (الجزائر)
feredj.said@univ-medea.dz

تاريخ الارسال : 2021/06/20	تاريخ القبول : 2021/09/10	تاريخ النشر : 2021/09/20	المؤلف المرسل : سعيد فرج

الملخص:

يعتبر عبد الرحمان الكواكبي من أهم الشخصيات التي عرفها العالم الإسلامي خلال القرن 19 م، حيث عاصر العالم الإسلامي في أيام ضعف وتفرقه، نهل من مختلف العلوم والمناهج التي كانت قائمة في تلك الفترة وتثقف بثقافة عصره، ساهم التنوع المعرفي الذي تلقاه في جعله عالما ومفكرا يملك نظرة مستقبلية للعالم الإسلامي، حيث طرح مشروعا أو مقترحا في كتابه أم القرى يهدف من خلاله لتحقيق الوحدة الإسلامية .

هذا المقترح هو عبارة عن اجتماع تخيل عقده في مكة المكرمة يضم أفاضل المسلمين وعلمائهم من جميع الأقطار الإسلامية للبحث في المشاكل وإيجاد الحلول عن طريق الشورى، والذي خرج في الأخير بأن الحل يكمن في توحيد الأقطار الإسلامية عن طريق إحياء الخلافة الدينية في العرب .

الكلمات المفتاحية: عبد الرحمان الكواكبي، كتاب أم القرى، الخلافة، الشورى، العالم الإسلامي .

مجلة دراسات تاريخية EISSN: 6723 -2600 ISSN: 9741-2352
المجلد: التاسع العدد: الاول السنة: صفر 1443 / سبتمبر 2021 ص ص 135– 152

Abstract :

Abd al-Rahman al-Kawakibi is considered one of the most important figures that the Islamic world knew during the 19th century AD, as he lived through the days of weakness and division in the Islamic world. He studied various sciences that existed in that period and was educated by the culture of his time, the diversity of knowledge he received contributed to making him a scholar and thinker with a future view of the Islamic world, as he put forward a project or proposal in his book Umm Al-Qura aiming to achieve Islamic union.

This proposal is an imaginary meeting that was held in Makkah Al-Mukarramah, bringing together the best Muslims and scholars from all Islamic countries, to discuss problems and find solutions through shura.This meeting came out with a solutionthat lies in the unification of the Islamic countries by reviving the religious caliphate in the Arab countries.

Keywords: Abd al-Rahman al-Kawakibi; Umm al-Qura book; the Caliphate; the Shura; the Islamic world .

مقدمة :

عرف العالم الإسلامي في العصور الوسطى أوج قوته وأزهى عصوره، يوم أن كانت أوروبا تعيش فيما يعرف بعصر الظلمات، هذه القوة اكتسبها من وحدته التي كانت قائمة على فكرة الخلافة، التي تنطوي تحت لوائها جميع الشعوب الإسلامية، لكن بعد سقوط الخلافة العباسية ابتعد المسلمون على هذه النمطية وصعب تحقيقها على أرض الواقع بالرغم من التلفظ بها هناك وهناك، وخاصة في عهد الدولة العثمانية التي كانت في العصر الحديث هي قوة العالم الإسلامي وحامي حماه، وبالخصوص في عهد السلاطين الأقوياء الأوائل، و مع مرور الزمن تغيرت موازين القوى نتيجة العديد المستجدات التي عرفتها الساحة الدولية في تلك الفترة، نذكر منها الكشوفات الجغرافية والثورة الصناعية التي ساعدت في تنامي قوة أوروبا، وفي المقابل كان العالم الإسلامي لا يزال يراوح مكانه يعيش على أنغام أمجاده الحضارية ولا يفكر في تجديد القيم والمفاهيم التقليدية، زد على ذلك ضعف الدولة العثمانية، هذا ما أدى إلى انتشار مظاهر الضعف والفرقة وأصبحت الأقطار الإسلامية عرضة للأطماع الأوروبية، انتهى بوقوع بعضها تحت الاحتلال الأجنبي، هذا ما دفع بعض المفكرين والمصلحين لمحاولة إعادة بعث هيبة وقوة العالم الإسلامي، وذلك بالبحث في الداء وإيجاد الدواء، كان من بينهم عبد الرحمان الكواكبي الذي عاش وعايش هموم العالم الإسلامي في تلك الفترة، حيث تلقى العديد من العلوم، وتقلد العديد من المناصب، هذا جعله أكثر احتكاكا بالمشاكل التي تعيشها الأمة الإسلامية، ورغبة منه للخروج من هذا الوضع طرح مشروعا أو مقترحا في كتابه أم القرى، و هو اجتماع تخيل عقده في مكة المكرمة يظم سراه المسلمين وأفاضلهم، يؤخذون على عاتقهم مهمة البحث في المشاكل وإيجاد الحلول المناسبة، انطلاقا مما سبق ذكره جاءت دراستنا هذه من أجل تسليط الضوء على شخصية عبد الرحمان الكواكبي و مسيرته العلمية والعملية، وكذا التطرق لمشروعه الذي يهدف لتوحيد العالم الإسلامي .

مجلة دراسات تاريخية EISSN: 6723 -2600 ISSN: 9741-2352
المجلد: التاسع العدد: الاول السنة: صفر 1443 / سبتمبر 2021 ص ص 135– 152

1. سيرة عبد الرحمان الكواكبي

تعتبر شخصية عبد الرحمان الكواكبي من الشخصيات المهمة التي ساهمت بتأثير كبيرا في تاريخ العالم الإسلامي خلال فترة العصر الحديث، نتاج ما قدمه للأمة الإسلامية من أفكار ورؤى إصلاحية، هذا ما تدل عليه آثاره التي خلفها من مؤلفات ورؤى فكرية حول أوضاع العالم الإسلامي ومستقبله، وكي نستطيع دراسة فكره من خلال آثاره ومؤلفاته كان يتوجب علينا ضرورة معرفة طبيعة نشأته وحياته، طبيعة تعليمه وثقافته التي كان لها دور في بلورة طبيعة فكره ووصوله إلى ما وصل إليه من ارتقاء في الوظائف الحكومية وغيرها من المناصب، ومن تأليف للعديد من المؤلفات و النشاطات العلمية في المجلات والجرائد .

1.1 مولده ونشأته

عبد الرحمان ابن أحمد بن مسعود الكواكبي الملقب بالسيد الفراتي، ولد سنة 1265 هـ الموافق ل 1849 م وتوفي سنة 1320 م الموافق ل 1902م [1]، أبوه هو أحمد البهائي ابن محمد بن مسعود الكواكبي المولود 1254 هـ، تلقى أبوه العلوم النقلية والعقلية على أشياخ عصره فكان عالما متمرسا، أما والدته فهي السيدة عفيفة بنت مسعود آل النقيب، أبوها كان مفتي أنطاكية حيث كانت على نسب رفيع، يرى المؤرخون من آل الكواكبي أن نسبهم ينتهي إلى ابن أبي طالب رضي الله عنه، و يذكر مؤرخهم حسن الكواكبي المتوفى 1229 هـ أن عائلة الكواكبي قد جمعوا من المجد أطرافه في العلم والشهرة فكانوا أعلاما في الأدب والفقه والدين لذلك كانت إليهم نقابة الأشراف في حلب على توالي الأجيال [2]، كان أبوه مدرسا في الجامع الأموي بحلب والتي كانت به مدرسة آل الكواكبي وهي المدرسة الكواكبية [3]، لما بلغ سن السادسة من عمره توفيت والدته فأرسله أبوه إلى خالته السيدة صفية بنت مسعود النقيب بأنطاكية، التي اشتهرت بأنها تجيد القراءة والكتابة والخط و تصافها بالذكاء واسع [4]، إذا كانت من نوادر النساء في الشرق اتصفت كذلك بالأدب والكياسة وكبر العقل، ساعدتها فطرة عبد الرحمان الكواكبي الميالة للتقبل والاستجابة للحق والخير في جعله رجلا يستعصي على ناقد الأخلاق نقده، مؤدب اللسان يزن الكلمة قبل أن ينطق بها، وغير ذلك من الصفات الحميدة [5].

كان له أثر طيب في حياته فيما بعد حيث أصبح يلقب بأبي الضعفاء بفضل رحمته وعطفه على الضعفاء، إن إرسال والد عبد الرحمان ابنه إلى خالته لم يكن من باب الصدفة ولا اعتباطا، وإنما يدل على حكمة الرجل وحرصه على تربية وتنشئة ابنه خير تنشئة، فكما هو معروف أن الخالة هي النساء الأقرب إلى الابن بعد وفاة أمه، والأكثر حرصا عليه، بل كما هو متعارف في الثقافة الإسلامية أن أحسن حضن للابن بعد وفاة الأم هي الخالة، خاصة إذا توفرت فيها صفات المرأة المثالية، وخالة عبد الرحمان الكواكبي كما سبق وذكرنا كانت على مقام عالي من العلم والمكانة المرموقة بين الناس، لذلك حرص أبو عبد الرحمان الكواكبي على أن ينال ابنه من هذا الوعاء العلمي والأخلاقي، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن أباه كان مشغولا بالعلم والتعليم وخاف على أن لا يرعى ابنه خير رعاية، كذلك من جهة أخرى أراد لابنه أن ينهل من صفات العطف والحنان والرحمة من مدرسة الأمومة التي حرم منها في أمه وأراد أن يعوضه لدى خالته كون هذه الصفات الحميدة

ستساهم مستقبلا في بناء شخصية تتحلى بصفات مكارم الأخلاق .

لبث عبد الرحمان الكواكبي عند خالته بأنطاكية ثلاث سنوات، رجع بعدها إلى موطن أبيه في حلب، مكث هناك سنة، عاد بعدها إلى أنطاكية موطن خالته، وعمره آنذاك إحدى عشر سنة، لبث هناك أيضا سنة واحدة رجع بعدها إلى حلب موطن أبيه [6]، بعدما بدت معالم شخصيته في الاكتمال نتاج اكتسابه من فاضل الأخلاق والتربية والمعرفة، حرص أبوه في توجيهه للعلم والمعرفة من أجل صقله بالمعارف والعلوم الدينية والعقلية

2.1 مسيرته العلمية والعملية

تعلم عبد الرحمان الكواكبي كما يتعلم ناشئة زمانه الدينيون [7]، اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي في المدرسة الكواكبية بحلب وهي طبعا مدرسة أسرتهم التي كان أبوه مديرا لها، بحيث كانت هذه المدرسة تسير على الطريق الأزهرية فيما يقرا من كتب وما يتبع من منهج تعليمي [8]، إلا أن أبوه لم يكتفي بتعليمه العلوم التي كان ينهل منها في المدرسة الكواكبية، وإنما أحظر له من يعلمه إلى جانب هذه العلوم الفارسية والتركية وكذا علوم المنطق والرياضيات والعلوم الطبيعية وغيرها [9]،كما لا ننسى أنه نهل من معارف التي وفرتها وعلمتها إياه خالته السيدة صفية يوم أن مكث عندها [10]، بعد أن أتم دراسته انغمس في الحياة العلمية [11]، حيث يقول عنه صاحب المنار أن عبد الرحمان الكواكبي درس قوانين الدولة العثمانية درسا دقيقا، وكان محيطا بها يكاد يكون حافظا لها مطلعا على الثقافة القديمة والحديثة [12]، وبالرغم من أن التعليم لم يكن وفق أصول علمية إلا أنها كانت تراعي الأصول الإنسانية العميقة التي كانت سائدة آنذاك [13]، إن حرص أبا عبد الرحمان على تعليم ابنه من العلوم الدينية التي كانت صفة التعليم الغالبة في تلك الفترة مع الحرص على تعليمه كذلك من علوم العصر الحديثة، جعل منه رجلا مؤهلا،كفئ لاستلام العديد من المناصب والوظائف في الحكومة وجعل منه كاتبا متمرسا .

بدأت حياته العملية كمحرر غير رسمي لجريدة الفرات التي كانت تصدرها الحكومة باللغتين التركية والعربية في حلب، ثم أصبح محررا رسميا لها [14]، وفي 10 أيار 1877 م أنشأ بالاشتراك مع هاشم عطار جريدة سماها الشهباء [15]، وهي أول جريدة عربية صدرت في حلب، لكن بعد صدور خمسة عشر عددا منها أُغلقت [16]، ثم أصدر لنفسه في 25 نموز 1879 م جريدة سماها الاعتدال باللغتين العربية والتركية [17]، إلا أن هذه الجريدة لاقت نفس مصير جريدة الشهباء حيث أُلغيت نتيجة أفكار التحرر التي كان الكواكبي ينادي بها من خلالها، كما شغل العديد من الوظائف الحكومية منها، أنه عين عضوا فخريا (بدون راتب) في لجنتي المعارف في 9 آذار 1879 م، ثم عين عضوا فخريا في الأشغال العامة ثم محررا للمقاولات، وعين بعدها مأمورا للأجراء في ولاية حلب، ثم عضوا فخريا في لجنة امتحان المحامين، وفي سن التاسعة والعشرين جعلته الحكومة مديرا فخريا لمطبعة الولاية الرسمية 1881 م 1379 هـ وغيرها من الوظائف [18]، هذه الوظائف التي تقلدها عبد الرحمان الكواكبي لم تجعل منه رجلا متكبرا ولا مستبدا بل كان حب الإصلاح وحرية القول والفكر باديتين في كل عمل من أعماله، هذا ما جعله محل عداء من طرف أرباب العمل والمناصب العليا فسعوا إلى الوشاية به وإلصاق التهم فيه [19].

مجلة دراسات تاريخية EISSN: 6723 -2600 ISSN: 9741-2352
المجلد: التاسع العدد: الاول السنة: صفر 1443 / سبتمبر 2021 ص ص 135– 152

بعد المضايقات التي لحقت بالكواكبي قرر السفر إلى مصر كاتما خبر سفره سنة 1899 م الموافق 1316 هـ، وهو في سن السابعة والأربعين من عمره حيث وجد هناك أرضية أفضل لنشر أفكاره [20]، ومنها خرج سائحا فطاف زنجبار والحبشة وأكثر شطوط شرقي آسيا وغربيها ثم رجع إلى مصر وقبل رجوعه إلى مصر يذكر أنه رحل رحلة لم يسبقه إليها أحد، حيث توغل في أواسط جزيرة العرب ومنها تحول إلى الهند فشرقي إفريقيا وعاد إلى مصر بعد ذلك [21]، ليواصل دعوته ونشر فكره إلى الحرية والإصلاح في جرائد مصر منها جريدة المؤيد [22] .

3.1 وفاته وآثاره

في مساء الخميس 14 يونيو 1902 م الموافق ل 5 ربيع الأول 1320 هـ جلس في مقهى يلدز قرب حديقة الأزبكية مع أصحابه وأصدقائه، وفيهم السيد رشيد رضا، محمد كرد علي، إبراهيم سليم النجار، حيث شرب القهوة مرةً وبعد نصف ساعة أحس بالألم في أمعائه فقصد هو وابنه كاظم في عربة إلى البيت، ظل بعدها يقيئ حتى قارب الليل منتصفه، فأصابته نوبة قلبية ثم عاودته بعد نص ساعة، فخرج ابنه يطلب الطبيب خوفا على صحة أبيه، ولما عاد وجد أباه قد فارق الحياة عن عمر ناهز الخمسين عاما [23]، انتشر خبر وفاته وبلغ مسامع الخديوي فأمر أن يجهز على نفقته وأن يعجل بدفنه في قرافة باب الوزير بمصر [24]، وبعد أربعين سنة نقلت رفاته في احتفال ديني إلى مقبرة المشاهير في شارع العفيفي بمنطقة باب الوزير وكتب اسمه وتاريخ نقله على صفحة من المرمر كتب عليها بيتان لحافظ إبراهيم هما :

هنا رجل الدنيا مهبط التقى هنا خير مظلوم هنا خير كاتب

قفوا وقرؤوا أم الكتاب وسلموا عليه فهذا القبر قبر الكواكبي

بهذين البيتين نعي الكواكبي رحمه الله [25].

كما تدل هذه الأبيات لشاعر عاصر وعايش عصر عبد الرحمان الكواكبي، عن العديد من الإشارات، منها صفات الرجل المتقي والكاتب المتمرس، كما تشير إلى الظلم الذي تعرض له في حياته انتهت به متوفى بعيد عن أهله ووطنه، هروبا من الظلم التي تعرض له والمضايقات التي لحقت به، نتاج ما كان يؤمن به ويدعوا إليه خوفا وحرصا على مستقبل العالم الإسلامي، كما أشيعت العديد من الأخبار حول قيام الدولة العثمانية بتسميمه واغتياله، وعادة ما تلصق هذه الإشاعات بالشخصيات المهمة، حتى وإن كانت الوفاة طبيعة فإن هذا الوفاة لا تسلم من هذه الإشاعات، وخاصة إذا كانت هذه الشخصيات معارضة لأنظمة الحكم القائمة، وهذا كان ديدن الكواكبي حيث كان منتقدا للظلم والاستبداد التي نمارسه الدولة العثمانية في الولايات العربية، وكي نكون مقسطين في حكمنا فإن الأمر يحتمل رأيين إما أن الوفاة كانت طبيعة نتيجة الرحلة الشاقة التي قطعها وأُنهكت قواه الجسدية فيها، وإما أن يكون مات مسموما فعلا وخاصة بعد تأليفه لكتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد .

خَلَّف عبد الرحمان الكواكبي إنتاجا علميا يدل على فكره وما كان يؤمن به ويدعو إليه، منها كتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، و هو كتاب جمع فيه مقالاته المتفرقة التي نشرها في الصحف المصرية، وأضاف إليها مقالات جديدة كلها عن موضوع الاستبداد، حيث أنه كتاب عميق، مفعم بالتفكير ، توهج فيه كره

عبد الرحمان الكواكبي للظلم والاستبداد [26]، حيث نشره عبد الرحمان الكواكبي لما وصل إلى مصر سنة 1898 م، اعتمد فيه على مصادر متنوعة من القرآن الكريم، والحديث النبوي، وأمثال العرب، والكتب التاريخية العربية منها والمترجمة، كما أضاف إليها خبر من حال الشعوب العربية والإسلامية، فأعمل فيها الفكر وأشرك فيها العقل والعاطفة، عقب نشره وصلت نسخ منه إلى العالم العربي بعد بضعة عشر يوما تلقاه حينها القراء بلهف وإقبال،كما تدل سنة نشره على أن الكواكبي ألف هذا الكتاب في حلب ونشره بمصر [27].

من بين كتبه أيضا العظمة لله، حيث ذكر ابنه أن أباه ألف هذا الكتاب لكنه لم يطبع وصودر مع أمثاله [28]، وقد ورد اسم هذا الكتاب في مذكرات صديق عبد الرحمان الكواكبي محمد كرد علي حينما أكد على أنه قرأه وذكر بأن فحوى هذا الكتاب كان سياسيا كسائر ما خطت يمين عبد الرحمان الكواكبي [29]، كما ترك عبد الرحمان الكواكبي مجموعة أشعار ذكر ابنه أنه لا يزال يحتفظ بكناش أبيه يحتوي على ثلاث آلاف بيت مصنفا على الطريقة التي كان أباه يستعملها، وهي أن يسجل ما يروقه من الشعر على عشرين صنفا ويضع في نهاية كل شعر رقما على حسب الغرض الشعري غزلاً كان أم مدحًا أم هِجاءاً ...الخ، حيث كان يحررها بخطه المشهور الذي لا يُقلد [30].

كما ألف أيضا كتاب صحائف قريش، إذْ يذكر ابنه أسعد بأن الكتاب كان مُعداً للطبع لكن حالت سياحته الطويلة السابقة الذكر دون طبعه ثم وقوع الوفاة فجأة حيث أعلن الكواكبي عنه في كتابه أم القرى، موصياً على من يظفر بنسخة من هذا السجل أن يحرص على إشاعته بين الموحدين، وأن يحفظ نسخة منه ليضيف إليه ما ستئول إليه مجريات الجمعية، باسم صحائف قريش التي سيكون لها شان إن في النهضة الإسلامية العلمية والأخلاقية، إلا أنه للأسف حُرم المسلمون من الاطلاع على فحوى هذا الكتاب، إذْ أنه صودر مع الأوراق المصادرة بعد وفاة الكواكبي، وأُرسل هدية إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وبالرغم من محاولة ابنه العثور عليه كما يذكر هو عقب إعلان الدستور وخلع السلطان في دور الكتب الأهلية بالآستانة إلا أنه لم يعثر على أثر له [31].

من بين أهم مؤلفاته أيضا والذي هو محل دراستنا كتاب أم القرى، وهو ضبط مفاوضات ومقررات مؤتمر النهضة الإسلامية المنعقد بمكة المكرمة سنة 1316 هـ، محررها السيد الفراتي (عبد الرحمان الكواكبي)، حيث ألف هذا الكتاب في حلب [32]، ولما قدم مصر كان أول ما قام به هو طبع هذا الكتاب وتنقيحه ستة مرات كان آخرها عند طبعه، حيث وجد عبد الرحمان الكواكبي الظرف المناسب في مصر لنشر أفكاره وأرائه، ويظهر ذلك في حواره مع رشيد رضا يوم أن التقى الرجلان وأكد لرشيد رضا أن الإنسان يتجرأ أن يقول ويكتب في بلاد الحرية ما لا يتجرأ أن يقوله ويكتبه في بلاد الاستبداد، كذلك في بلاد الحرية يتولد في الذهن من الأفكار والآراء ما لا يتولد في غيرها، يعتبر كتاب أم القرى ذا منزلة عظيمة وكل من يطلع عليه يظن أن صاحبه صرف معظم وقته للتأمل في أحوال المسلمين وتاريخهم وعقائدهم وعلومهم وآدابهم وعادتهم [33].

2. مشروع عبد الرحمان الكواكبي لتوحيد العالم الإسلامي

خلال القرن التاسع عشر ظهرت العديد من المشاريع التي تهتم بنهضة العالم الإسلامي ووحدته بعد الضعف الذي لحق به من جراء ضعف الدولة العثمانية التي كانت حامية حمى الإسلام ورافعة لواء العالم الإسلامي وأهله، إذْ نتج عن هذا الضعف بداية التفرق وانحلال الرابطة التي كانت تجمع الدولة العثمانية وأقطارها الإسلامية، ورغبة في الخروج من هذا الوضع ظهرت دعاوى هنا وهناك على يد مفكرين ومصلحين وكتاب تدعوا لضرورة توحيد العالم الإسلامي، كان من بين هؤلاء الذين دعوا إلى ذلك جمال الدين الأفغاني [34]، الذي ارتكز مشروعه على ضرورة ربط مختلف الأقطار الإسلامية بالدولة العثمانية، حيث رأى في الرابطة العثمانية مصدر قوة ووحدة العالم الإسلامي، والذي تبنى فيما بعد السلطان عبد الحميد الثاني هذا المشروع و عرف باسم الجامعة الإسلامية، حيث لم يكن جمال الدين الأفغاني الوحيد الذي نادى بهذه الوحدة كوسيلة للخروج من حالة التخلف وتدارك ما يمكن تداركه لإيقاظ العالم الإسلامي وإنما وجد هنالك أيضا من سار على نفس نهجه في الدعوة للوحدة الإسلامية، كان من بينهم عبد الرحمان الكواكبي الذي سار على نفس نهج سالفه في الدعوة إلى الوحدة ولكنه اختلف معه في الوسيلة والكيفية .

طرح عبد الرحمان الكواكبي مشروعه في كتابه أم القرى حيث يذكر في كتابه أن العالم الإسلامي في تلك الفترة عرف حالة من التخلف والخلل هذا الوضع دفع بأفاضل المسلمين والعلماء والكتاب السياسيين للبحث والتنقيب عن أفضل الوسائل للنهضة الإسلامية وأخذ هؤلاء في نشر أفكارهم وآرائهم في الجرائد والمجلات و التي اطلع عليها وتبع آثارهم ثم سعى للتوسع في هذا المشروع النهضوي الذي يهدف لوحدة العالم الإسلامي [35]، والذي يقوم على ثلاث مرتكزات رئيسية هي :

1.2 الاجتماع في مكة المكرمة:

رغبة في توحيد كلمة المسلمين تصور عبد الرحمان الكواكبي عقد جمعية [36]، تجتمع في مكة المكرمة في يوم 15 ذي القعدة 1316 هـ تضم أفاضل المسلمين ونخبها من كل أقطار العالم الإسلامي، حيث يحضر عن كل قطر ممثل له [37]، وهم السيد الفراتي، الفاضل الشامي، البليغ القدسي، الكامل الإسكندري، العلامة المصري، المحدث اليمني، الحافظ البصري، العالم النجدي، المحقق المدني، الأستاذ المكي، الحكيم التونسي، المرشد الفاسي، السعيد الانكليزي، المولى الرومي، الرياض الكردي، المجتهد التبريزي، العارف التاتارى، الخطيب القازاني، المدقق التركي، الفقيه الأفغاني، الصاحب الهندي، الشيخ السندي، الإمام الصيني [38]، اختار عبد الرحمان الكواكبي هذه الألقاب وأخفى الأسماء الحقيقة وذلك من أجل دفع الخطر عن أسماء الحاضرين كما يذكر ذلك بنفسه،كما تدل هذه الألقاب على أمرين مهمين هما الإشارة إلى أن الأعضاء الحاضرين من أهل العلم والفضل فغالبية ألقابهم علمية، والأمر الثاني وهو أن ألقابهم مرتبطة بالبلدان التي حضروا منها والتي ضمت كل أقطار العالم الإسلامي للدلالة على أن هذا الاجتماع لم يكون مخصوصا بجهة معينة .

اختار عبد الرحمان الكواكبي منزلا متطرفا في مكة [39]، من أجل عقد هذا الاجتماع بصورة خفية بحيث استأجره باسم بواب داغستاني روسي لتكون مصونة من التعرض للخطر[40]، وفي هذا المنزل انتظمت الجمعية للمرة الأولى حيث بلغ عددها اثنان وعشرون فاضلا

كلهم يحسنون العربية [41] ، وقام على إثرها عبد الرحمان الكواكبي بتوزيع اثنين وعشرين قائمة تظم هذه القائمة مختصر تراجم إخوان الجمعية جميعهم، ببيان الاسم والنسبة و المذهب والمزية المخصوصة، ووزع خلالها أيضا مفتاح الرموز التي يحتاج الإخوان لاستعمالها [42].

قد يتساءل البعض عن السبب الذي دفع عبد الرحمان الكواكبي لاختيار مكة المكرمة مكان يجتمع فيه أفاضل العالم الإسلامي من أجل عقد الجمعية، وحق لهم ذلك وإذا بحثنا في سبب هذا الاختيار نجد أن عبد الرحمان الكواكبي لم يكن اختياره هذا من قبيل الصدفة ولا من باب الاعتباط، وإنما كان عارفاً بمكانة مكة المكرمة في الإسلام وفي نفوس المسلمين، فهي بلد الله الأمين من أقدم مدن العالم وأهمها، اختارها الله سبحانه وتعالى من بين بقاع الأرض موضعا لبيته الحرام بهدف هداية البشرية جمعاء، وهي وسط العالم وسرة الدنيا [43]، ونظرا لهذه المكانة الكبيرة في قلوب المسلمين حرص جميع حكام المسلمين على مدار التاريخ على اتباع سياسة متميزة في حكم البلد الحرام والاهتمام به قصد كسب محبة المسلمين، وإذا تحدثنا عن مكانة مكة الدينية ومنزلتها في قلوب المسلمين، فإننا بالضرورة نتحدث عن الحج الذي هو ركن من أركان الإسلام وشعيرة من شعائر المسلمين يتوجه فيها المسلمين من كل أقطار العالم الإسلامي لزيارتها وأداء فريضة الحج وأثناء فترة حجهم يجتمع المسلمين ويتبادلون الأفكار والآراء الدينية منها والدنيوية [44]، وهذا ما يساهم في تقوية أواصر العلاقة بين المسلمين وجمع كلمتهم، لذلك رأى عبد الرحمان الكواكبي في مكة مكان يسهل فيه جمع أفاضل المسلمين في تلك البقاع المقدسة .

ذكر عبد الرحمان الكواكبي أيضا أنه بحث في أفضل مكان لعقد الجمعية ووجد في مكة المكرمة المكان الأنسب لذلك، وهذا للعديد من الاعتبارات منها أن الجزيرة العربية هي مشرق النور الإسلامي وفيها الكعبة المعظمة والمسجد النبوي والروضة المطهرة، وهي أنسب المواقع لأن تكون مركزا للسياسة الدينية لتوسطها أقصى آسيا وأقصى إفريقيا غربا، يضاف إلى ذلك أن الجزيرة العربية أسلم الأقاليم من الأخلاط الجنسية أدياناً و مذاهباً، وهي أبعد الأقاليم مجاورة للأجانب فكان حري بها أن تكون ديار أحرار لبعدها عن الطامعين وفقرها الطبيعي [45]، كما لا يخفى علينا أن الهدف الرئيسي لعقد هذه الجمعية هو القيام بنهضة دينية تخرج العالم الإسلامي من سباته العميق وهذه الجمعية تكون صبغتها دينية خالية من كل صبغة سياسية [46]، وبما أن صبغة هذه الجمعية دينية فإن مكة المكرمة هي رمز ديني تشترك فيه جميع شعوب العالم الإسلامي وهو رمز للوحدة الإسلامية وبتالي يكون جمعة كلمة المسلمين فيها أفضل من غيرها .

2.2 الشورى :

بعدما جمع عبد الرحمان الكواكبي سراة المسلمين ونخبها في مكة المكرمة، اتخذ من مبدأ الشورى وسيلة التحاور واتخاذ القرارات التي تصدرها الجمعية، ويظهر ذلك بداية في طريق اختيار رئيس الجمعية، حيث اقترح عبد الرحمان الكواكبي على الأعضاء الحاضرين اختيار رئيس يدير اجتماعات الجمعية، ومن جهة أخرى يظهر اهتمام عبد الرحمان الكواكبي بمبدأ الشورى من خلال جمع سراة العالم الإسلامي لمناقشة أسباب الفتور وإيجاد الحلول المناسبة، حيث انه لم يستبعد أي أحد منهم مع دعوته

لأن يجتهد كل واحد منهم بفكره الثاقب للبحث في أسباب الفتور وإيجاد الحلول المناسبة [47].

كما أكد عبد الرحمان الكواكبي على أهمية الشورى كوسيلة ناجعة في اتخاذ القرارات المناسبة، ويستشهد في ذلك بالتاريخ الإسلامي حيث ذكر بأنه إذا تدبرنا في التاريخ الإسلامي نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أطوع المخلوقات للشورى وهذا امتثالا لأمر ربه في قوله تعالى {...وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ...} [48]، حتى أنه ترك الخلافة لمجرد رأي الأمة كي يختار أصحابة بالتشاور من يخلفه وسار أصحابه على نفس نهجه في عهد الخلافة الراشدة، وحتى في عهد الدولة الأموية والعباسية بقى المسلمون محافظين على مبدأ الشورى في الحكم [49]، وبمرور الزمن استحكمت ظاهرة الاستقلال في الرأي ومعاداة الشورى التي كان من بين أسبابها الحاشية المحيطة بالحكام، التي كانت توحي إليهم أن فتح باب الانتقاد والمشورة يخل بنفوذ الحكام وينقص من سلطتهم، وهذا ما يخالف السياسة الشرعية بزعمهم، هذه المزاعم أدت إلى ظهور الفساد والفتن، والذي أدى بطبيعة الحال إلى الفتور العام واستحكام الاستبداد في نفوس الحكام [50].

ودفاعا عن مبدأ الشورى وأهميتها في النهضة والتطور حمل عبد الرحمان الكواكبي حرباً على الاستبداد [51]، وألف في ذالك كتابا سماه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد يؤكد فيه على أن الاستبداد هو أسوء أنواع السياسة وأكثرها فتكا بالإنسان، تبتلى به الشعوب في بعض المراحل التاريخية، ويؤثر سلبا على الإنسان في المجتمع المحكوم عليه بالظلم والطغيان، وهذا ما يؤدي إلى التراجع في كافة مجالات الحياة كما يؤدي إلى تعطيل الطاقات وهدرها، وسيادة النفاق والرياء بين مختلف فئات الشعب حكاما ومحكومين [52]، لذلك كان لزاماً لحل المشكلات السياسية أن يشترك المواطنين فعليا في الحكم، بأن تكون لهم حق الرقابة على السلطة يوجهون الانتقادات ويقدمون المقترحات بلا حرج ولا خوف من الحكومة مهما كان نوعها، حيث يربط سر نجاح الأم المتمدنة في صفة الاشتراك في الحكم أو الشورى [53].

لقد ركز عبد الرحمان الكواكبي على قضية الشورى كوسيلة فعالة في جمع وتوحيد العالم الإسلامي تحت راية واحدة، ذلك أن العالم الإسلامي يظم شعوب متعددة تختلف في العرقيات والعادات والتقاليد وحتى في نظرتها لأسلوب الحكم، وبتالي أي مشروع يهدف لتوحيد العالم الإسلامي أو أي نظام حكم معين يجب أن يحترم هذه الخصوصيات، وأن يشرك جميع ممثلين هذه الشعوب في البحث عن مواطن الخلل والعلل في كل مجالات الحياة وإيجاد البدائل والحلول المناسبة لها، ولا يتم هذا إلا بالشورى التي تعطي كل واحد منهم الحرية في طرح ما يخدم من يمثله وما يخدم الأمة الإسلامية قاطبة، وقيام عبد الرحمان الكواكبي بإرسال دعوة لكل سراة العالم الإسلامي والاستماع إلى أرائهم في الاجتماعات كما ذكرنا سابقا خير دليل على تركيزه للزوم اتخاذ الشورى وسيلة في توحيد كلمة المسلمين .

لم يكن عبد الرحمان الكواكبي الوحيد الذي طرح قضية الشورى في العالم الإسلامي في تلك الفترة بل كان موضوع أغلب كتاب ورواد النهضة العربية، الذي أكدوا فيه أن الشورى ليست غريبة عن الدين الإسلامي كما يظن البعض، والذين ذهبوا إلا أن الغرب هم من أوجدوا هذه النمطية التشاركية في الحكم، هذا لا يعني أن ننكر دور الغرب في تنبيه المسلمين لهذه الآلية الناجعة في

الحكم، ومن أمثال هؤلاء الذين طرحوا قضية الشورى إلى الساحة الإسلامية جمال الدين الأفغاني الذي عمل من أجل قيام الدستور ومجلس الشورى، كما أكد الشيخ رشيد رضا [54]، أن الشورى نابعة من الإسلام وليست غريبة عنه، بل أكد أن الدين الحنيف يصر على مبدأ الشورى، كما نجد عبد الله النديم [55]، قد أفاض في حديثه عن الشورى في الإسلام مستشهدا في ذلك بالتاريخ الإسلامي منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ودعا بصراحة إلا لزوم إسقاط الأنظمة الدكتاتورية والحكومات الاستبدادية، وسار في نفس الطريق رفاعه الطهطاوي [56]، الذي أكد على فكرة حكومة الإسلام الشورية وأهميتها في توحيد وتقوية العالم الإسلامي في مقابل ذلك تهجم على الحكام الاستبداديين ووصفهم بأنهم وباء الجنس البشري [57].

ولما كانت الشورى ضرورية في توحيد كلمة المسلمين واجتماعهم كان لزاماً حسن اختيار أهل المشورة، لأن الإنسان عرضة للوقوع في الخطأ والارتباك في التصرف وهذا ما يجعله في حاجة ماسة إلى طلب المشورة، والمتأمل في حال الأمم الأوروبية يجد أنها اعتمدت على مجالس استشارية تكون مهمتها مراقبة ومساعدة من يتولون الحكم، و إقامة قواعد لا تنقضها الحوادث، وقوانين تناسب التابع والمتبوع وبذلك تبقى دعائم الدولة قائمة على أساس متين [58]، وهذا ما ذهب إليه عبد الرحمان الكواكبي حينما اختار ممن يمثل كل شعب من شعوب العالم الإسلامي من هم أجدر بتولي مسؤولية المشورة، فمنهم علماء الدين، ومنهم الخبراء بأمور الدنيا و في مختلف مجالات الحياة الأخرى .

يرى عبد الرحمان الكواكبي أن الإسلام في جوهره الأصيل لم يهمل الشأن السياسي الخاص بالمسلمين، وإنما بين لهم القواعد التي تبنى عليها السياسية الشرعية، فهي مبنية على قواعد الحرية السياسية في مقام وسط بين الديمقراطية والأستقراطية، وبتالي هو مُؤَسس على أصول ديمقراطية تهدف بدرجة أساسية لمراعاة المصلحة العامة، وعلى شورى أستقراطية أي شورى الخواص وهم أهل الحل والعقد،الذين يجب على الحاكم استشارتهم وإشراكهم في الحكم، والمتأمل للدين الإسلامي يجد أنه مليء بالدعوة إلى العدل والخضوع إلى نظام الشورى [59]، ولم يكتفي عبد الرحمان الكواكبي بذكر مزايا الشورى وأهميتها نظريا فقط، وإنما طرح آلية لتطبيقها على صورة تضمن لها الفاعيلة في أرض الواقع، وذلك من خلال تأسيس هيئة شورى عامة إسلامية، يكون رئيسها هو نائب الخليفة، وتتكون هذه الهيئة من مائة عضو منتخبين مندوبين من قبل جميع السلطنات والإمارات الإسلامية، تنحصر وظائفها في الشؤون السياسية العامة فقط، أما عن موعد اجتماع هذه الهيئة فهو يرى أن تجتمع شهرين من كل سنة قبيل موسم الحج، وفي كل يوم افتتاح يُعين رئيس لهذه الهيئة من طرف الخليفة، ولضمان سير هيئة الشورى في المسار الصحيح اقترح وضع قانون مخصوص تسير وفقه الهيئة بعد أن تصادق عليه السلطنات والإمارات، ولعل أهم دور تقوم به هذه الهيئة هي انتخاب الخليفة [60]، والذي يقوم بإبلاغ قراراتها ومراقبة تنفيذها [61].

3.2 دعوته لإحياء الخلافة الدينية في العرب

منذ مجيء الإسلام وإقامة الرسول صلى الله عليه وسلم لدولة الإسلام التي تظم جميع الشعوب الإسلامية، ظل

المسلمون يعيشون على هذه النمطية من الحكم واستمر الحال بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث سار صحابته على نفس النهج فيما يعرف بالخلافة التي يجتمع فيها كل المسلمين تحت خليفة واحد، واستمرت هذه النمطية من الوحدة السياسية للعالم الإسلامي في عهد الدولة الأموية والعباسية، لكن بعد سقوط الدولة العباسية افترقت الأقاليم الإسلامية في شكل دويلات وكيانات سياسية متفرقة هنا وهناك، إلى أن استطاعت الدولة العثمانية ضم جزء كبير من العالم الإسلامي تحت لوائها، لكن مع مرور الزمن بعد أن تغيرت موازين القوى وضعفت الدولة العثمانية ظهرت العديد من المستجدات في الساحة الدولية،كان أبرزها ظاهرة الاستعمار الأوروبي للأقاليم الإسلامية، وانتشار مختلف مظاهر الضعف في البلدان الإسلامية في كافة المستويات، هذا ما دفع بعض المفكرين والعلماء للقيام بمهمة إيجاد الحلول والبدائل المناسبة لأجل نهضة العالم الإسلامي من حالة التخلف الذي يعيشه،كان من بين هؤلاء عبد الرحمان الكواكبي الذي كانت له رؤية ومشروع نهضوي ارتكز فيه على عنصر مهم لتحقيق الوحدة التي تضمن القوة، وهو ضرورة رد الخلافة للعرب بعد أن فشل الأتراك في قيادة العالم الإسلامي .

يذكر عبد الرحمان الكواكبي أن التلقب بالخلافة، أو الإمامة الكبرى، أو الإمارة عند آل عثمان حدث في عهد المرحوم السلطان محمود، حيث صار بعض وزرائه يخاطبونه بذلك تفننا في الإجلال وغلو في التعظيم، ثم توسع استعمال هذه الألقاب في عهد ابنيه وحفيديه، أما بعد ذلك فقد كان السلاطين العثمانيين متحفظين عن التلقب بالخلافة رسميا في منشوراتهم ومسكوكاتهم، وإنما تجدها على لسان البعض، نجد من جانب التركي تعظيماً لقومه، والعربي نفاقاً لسلطانه، والمصري اتباعاً للمرائيين، والهندي اعتزازاً بالوهم، والأجنبي هزؤاً ومكراً بينما نجد الأمر يختلف عند سلطان مراكش وأمير عمان وإمام اليمن المتنازعين في هذا المقام [62]، لم تكن دعوة عبد الرحمان الكواكبي لهذه الوحدة السياسية التي تجمع الأقطار الإسلامية هي الأولى والوحيدة التي طرحت في تلك الفترة، فقد سبقه في ذلك جمال الدين الأفغاني الذي يعتبر من الأوائل الذين دعوا إلى هذه الفكرة حينما أسس جمعية العروة الوثقى 1882 م، التي كان يرى فيها نواة الوحدة الإسلامية التي تنصهر فيها مختلف أقطار العالم الإسلامي في وحدة سياسية كبرى تكون بمثابة الخلافة الإسلامية الجامعة تحت لواء الدولة العثمانية [63]، وفي من تمنح شرعية هذه الخلافة انتهج عبد الرحمان الكواكبي منحى آخر وربما كان طرحه الأول من نوعه في تلك الفترة حيث دعا إلى رد الخلافة للعرب .

ودفاعا عن رأيه حول رد الخلافة إلى العرب عدد عبد الرحمان الكواكبي مزايا العرب التي تأهلهم لهذه المهمة، من بين هذه المزايا نسبهم وأقدميتهم الوجودية، فقد اعتبرهم من أقدم المدن مدنية بدليل سعة لغتهم وسمو حكمتهم وأدبياتهم، وأنهم أقدر الشعوب الإسلامية على تحمل قشف المعيشة في سبل مقاصدهم، وأنشطهم على التغرب وذلك لبعدهم عن الترف المذل لأهله، وهم أحفظ الأقوام على جنسيتهم وعاداتهم، فهم يخلطون ولا يختلطون، وهم أحرص الأمم الإسلامية على الحرية والاستقلال، بالإضافة إلى لغتهم الثرية والغنية والمحفوظة بحفظ القرءان الكريم، وهم أعرق الأمم في الشورى والشورى العمومية، واحترام العهود، وحسن الجوار الأكثر أهمية من ذلك أن المسلمين اتبعوا العرب ابتداءاً

وهذا ما يجعل اتباعهم أسهل وأكثرا قبولاً، هذه أهم المزايا التي دافع بها عبد الرحمان الكواكبي حول أحقية رد الخلافة للعرب [64].

أما الشيخ محمد رشيد رضا فقد دعا إلى ضرورة التعاون ما بين العرب والأتراك لإحياء منصب الخلافة، ولا يرى ضرر في أن تكون في بلاد الترك، والأحسن أن تكون في منطقة وسط بينهما، إما أن تكون في بلاد العرب الحجاز خاصة، أو بلاد الترك في الأستانة خاصة، أو في منطقة وسطى مشتركة [65]، وهذا ما ذهب إليه كذلك جمال الدين الأفغاني الذي دعا إلى ضرورة تعاون واتحاد جميع الأقطار والشعوب الإسلامية لمواجهة الاستعمار الأوروبي في ما يعرف بالجامعة الإسلامية التي تبناها السلطان عبد الحميد الثاني [66]، وهنا نجد أغلب العلماء والمفكرين المسلمين في تلك الفترة قد اتفقوا على ضرورة الوحدة لكن اختلفوا حول الكيفية .

بعد أن عدد عبد الرحمان الكواكبي مزايا العرب وأحقيتهم في الخلافة دعا إلى إقامة خليفة عربي قرشي مستجمع الشروط في مكة يكون حكمه مقصورا على الخطة الحجازية ومربوطا بشورى خاصة حجازية، بحيث تقوم هيئة الشورى العامة أو الجمعية بانتخاب هذا الخليفة باعتبار أن أعضاء الجمعية هم أهل الحل والعقد، على أن تكون مدة البيعة كل ثلاث سنوات،كما أن سلطة الخليفة غير مطلقة وإنما لها ضوابط، من بينها عدم تدخله في الشؤون السياسية والإدارية في السلطنات والإمارات، وأن لا تكون تحت إمرته أي قوة عسكرية مطلقا، على أن يذكر اسمه في الخطب قبل أسماء أمراء السلطنات، ويُذكر اسمه أيضا في المسكوكات، ومن بين المهام التي يقوم بها هي المصادقة على توليات أمراء السلطنات الإسلامية [67]، وبهذا الموقف الداعي لأن تكون الخلافة عند العرب يكون قد شكل تياراً إسلامياً رافض لشرعية الخلافة عند الدولة العثمانية في وقت كانت فيه الأمة الإسلامية في غنى عن هذا الطرح [68].

توقع عبد الرحمان الكواكبي رده الفعل التي ستحوم حول مبدأه في جعل الخلافة عند العرب، لذلك طرح العديد الدلائل التي ستقف في وجه ردود الأفعال التي ستنتقده، منها ما هو موجه لأنصار ودعاة الخلافة عند العثمانيين، حيث يبرر أنه رغم كل الجهود التي قامت بها الدولة العثمانية في خدمة الإسلام والمسلمين، ورغم بعض الصفات المحمودة فيها، لكن مع هذا لن يتمكن العثمانيون من تجديد سياسيتهم واسترجاع أمجاد الأمة الإسلامية إلا بالاجتماع مع غيرهم على خليفة عربي قرشي، أما رده على من يرون فيه بدعوته هذه أنه قومي ينحاز لقوميته العربية فقد برر انحيازه للعرب وجعل الخلافة فيهم أنه ليس نابعا من قبيل التعصب للعرب، وإنما كون العرب أهل غيرة على الدين وأهله، وأنهم على استعداد تام لتجديد عز الإسلام في أهل البدوية من العرب، وأن الاجتماع على خليفة عربي قرشي ما هو إلا اجتماع ديني فقط وليس سياسي أو من قبيل الانحياز القومي لبني جنسه، ثم يسرد إسهامات المسلمين أيام الخلافة العربية وما قدمته للإنسانية من خير هذا ما يجعل من صالح الإنسانية وصول العرب للخلافة [69].

لقد ركز عبد الرحمان الكواكبي في حديثه عن الشروط الواجب توفرها في من يكون خليفة للمسلمين على شرط النسب القرشي لأن أغلب العلماء المسلمين قد اتفقوا على الشروط الأخرى مثلما ذكر الشيخ محمد رشيد رضا المعاصر له في رأيه عن الخلافة بان الشروط

الواجب توفرها هي سبعة، وهي العدالة على شروطها الجامعة، العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام ، سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك به، الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح ، الشجاعة، والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو، وعن شرط النسب القرشي يذكر أنه ورد النص فيه وانعقد الإجماع عليه ولا اعتبار بضرار حين شذ فجَوَزها في جميع الناس [70]، إلا أن الشرط السابع وهو النسب القرشي اختلف فيه العلماء المسلمين بين مجوز لها في غير العرب ومابين الداعي لبقائها في العرب في قريش، وموقف عبد الرحمان الكواكبي في هذا الموضع هو وجوب منح الخلافة للعرب .

وفي الأخير يذكر عبد الرحمان الكواكبي أنه بهذا الترتيب المتمثل في اجتماع سراه المسلمين في مكة، وانتخاب خليفة للمسلمين من العرب عن طريق الشورى وانتهاجها كوسيلة مثالية للحكم الإسلامي، وباجتماع جميع الإمارات والسلطنات تحت هذا الخليفة العربي الذي تكون سلطته دينية فقط مع ترك حرية السلطة السياسية لزعماء وأمراء السلطنات، هذا الترتيب سيساهم في حل مشكلة الخلافة، و يسهل في إقامة اتحاد إسلامي تضامني تعاوني يقتبس تركيبته من قواعد اتحاد الألمانيتين والأمريكانيتين مع الملاحظات الخاصة وبذلك تكون الحكومات الإسلامية الموجودة قد أمنت من المشاكل الداخلية والخارجية، وتتفرغ للبناء والعمران والتقدم في العلوم والفنون، واكتساب كل مقومات القوة اللازمة للنجاة من الممات [71].

خاتمة

نتيجة الضعف والتفرق الذي عرفه العالم الإسلامي خلال القرن 19 م وذلك بعد انهزام الدولة العثمانية في أغلب المعارك التي خاضتها ضد روسيا و أوروبا، هذا ما جعل الأقطار الإسلامية عرضة للأطماع الأجنبية، والذي انتهى بوقوع بعضها تحت ظلمة الاستدمار الأوروبي، ففكان لازما على نخب العالم الإسلامي التحرك من أجل رد هيبة العالم الإسلامي وقوته في الساحة الدولية، كان من بين هؤلاء عبد الرحمان الكواكبي الذي ساهم تكوين العلمي ومسيرته العملية في بلورة حل للخروج من هذه الحالة، والذي يكمن في الوحدة الإسلامية عن طريق إحياء الخلافة الدينية في العرب من أجل جمع كلمة المسلمين من جميع الأقطار وانطلاقا من الدراسة التي تطرقنا لها حول شخصية عبد الرحمان الكواكبي ومشروعة لتوحيد العالم الإسلامي نستنتج العديد من الاستنتاجات وهي :

– أن مسيرة عبد الرحمان الكواكبي العلمية والعملية ساهمت بشكل كبير في بلورة مواقفه وأرائه في سبيل نهضة العالم الإسلامي، حيث تلقى العديد من العلوم والمعارف، وتقلد العديد من المناصب والوظائف، هذا ما جعله يقف عن قرب على الخبايا والمشاكل التي تقع في الإدارات وفي كافة القطاعات، والتي تقف عائقاً في سبيل كل عملية تهدف للنهضة والإصلاح، وبتالي مشروعه هذا انطلق من تجربته الواقعية والميدانية وهذا من اكبر عوامل نجاح أي عملية إصلاحية نهضوية كونها تكون نابع من الواقع المعاش.

– أن عبد الرحمان الكواكبي بالرغم من أن مقترحه حول حقيقة الاجتماع في مكة كان متخيلاً ولم يحدث على أرض الواقع، إلا أنه كان على صلة بالواقع كما أشار

هو بذلك ربما لنيته التحضير لعقد هذا الاجتماع مستقبلا، أو على أمل أن يقوم علماء المسلمين بتبني هذا المقترح، ولو كتب له العيش والقدرة لقام بعقده لكن للأسف وفاته المنية .

– ينتقد الكثير من المفكرين والعلماء موقف عبد الرحمان الكواكبي من الدولة العثمانية بأنه لم يكن في وقته، وبأن ذلك الوقت كان يتطلب اجتناب أي موقف يفرق المسلمين، وخاصة وأن غالبة المسلمين تكن الحب والاحترام للدولة العثمانية .

–أُثيرت العديد من الشكوك حول انحياز عبد الرحمان الكواكبي للعرب، لذلك اتهمه العديد من العلماء والمفكرين بأنه قومي وذو نزعة قومية عربية، وخاصة لدى القوميين العرب الذي أرادوا أن يستغلوا نضاله وفكره لخدمة إيديولوجيتهم القومية بعد موته، لكن القراءة السليمة الخالية من التشيع للآراء والإصغاء للهوى تثبت حقيقة انحيازه للعرب، فقد ذكر عبد الرحمان الكواكبي رده على هذه الشبهة المحتمل أن تلصق به جراء اتخاذه لهذا الموقف مبرراً أنه ليس من قبيل الانحياز العرقي أو كره الأتراك وإنما لسابقة تاريخية للعرب في حكم المسلمين، ولأسباب دينية تجعل الخلافة فيهم ومنهم .

– بالرغم من موقف عبد الرحمان الكواكبي القاسي نوعا ما على الدولة العثمانية، إلا أنه يتوجب على الباحثين دراسة فكر الكواكبي وخاصة فيما يخص قضايا العالم الإسلامي التي من بينها قضية وحدة العالم الإسلامي ونهضته، لها فلا يمنعنا مواقفه من درسه فكره والاستفادة منه فيما يعود بالنفع على لمسلمين والإنسانية جمعاء .

– الهوامش والإحالات :

[1] – خير الدين الزركلي، الأعلام، ج 3، ط 15، دار العلم للملايين، لبنان، 2002 م، ص 298 .

[2] – سامي الدهان، عبد الرحمان الكواكبي 1854 – 1902 م، د ط، دار المعارف، مصر، د ت، ص– ص 12 – 16 .

[3] – أحمد أمين زعماء الإصلاح في العصر الحديث، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 م، ص 69 .

[4] – سامي الدهان، المرجع السابق، ص 17 .

[5] – أحمد أمين، المصدر السابق، ص 69 .

[6] – سامي الدهان، المرجع السابق، ص 17 .

[7] – الظاهر أن المقصود من التلفظ بكلمة الدينيون هو أن الصفة الغالبة للعلوم المنتشرة والتي كان يحرصون على تعليمها للأبناء هي العلوم الدينية، من تحفيظ للقرآن الكريم والأحاديث النبوية، وبعض مبادئ العلوم الدينية الأخرى، بحيث كانت هي ميزة العلم والتعليم في تلك الفترة .

[8] – جورجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج 1، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 م، ص 375 .

[9] – صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، ط 1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001 م، ص 50 .

[10] – سامي الدهان، المرجع السابق، ص 17 .

[11] – أحمد أمين، المصدر السابق، ص 70 .

[12] – عباس محمود العقاد، عبد الرحمان الكواكبي، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012 م، ص ص 40 41 .

[13] – جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عياد، ط 8، دار العلم للملايين، بيروت، 1987 م، ص 168 .

[14] – سامي الدهان، المرجع السابق، ص 19 .

[15] – أدهم آل جندي، أعلام الأدب والفن، ج 2، د ط، مطبعة الإتحاد، دمشق ، 1985 م، ص 13 .

[16] – سامي الدهان، المرجع السابق، ص 20 .

[17] – أدهم آل الجندي، المرجع السابق، ص 13 .

[18] – سامي الدهان، المرجع السابق، ص ص 20 21 .

[19] – أدهم آل جندي، المرجع السابق، ص 13 .

[20] – سامي الدهان، المرجع السابق، ص 28 .

[21] – أدهم الجندي، المرجع السابق، ص ص 13 14 .

[22] – صلاح زكي أحمد، المرجع السابق، ص 54 .

[23]– سامي الدهان، المرجع السابق، ص 31 .

[24] – أدهم آل جندي، المرجع السابق، ص 13

[25] – محمد جمال طحان، الأعمال الكاملة للكواكبي، ط 7، مركز دراسات الوحدة العربية، سورية، 2006 م، ص ص 27 28 .

[26] – جورج أنطونيوس، المصدر السابق، ص 170 .

[27] – سامي الدهان، المرجع السابق، ص ص 41 45 .

[28] – نفسه، ص 67 .

[29] – محمد كرد علي، المذكرات، ج 2، د ط، مطبعة الترقي، دمشق، 1948 م / 1367 هـ، ص 611 .

[30] – سامي الدهان، المرجع السابق، ص 68 .

[31] – نفسه، ص 67 .

[32] – محمد جمال طحان، المرجع السابق، ص 36 .

[33] – رشيد رضا، مجلة المنار، مج 5، ج 1، د ط، د ن، مصر، 1320 هـ / 1902 م، ص 279 .

[34] – جمال الدين الأفغاني : هو السيد محمد جمال الدين بن السيد صفتر، ولد في بيت شرف وعلم بقرية أسعد أباد من قرى كنر ببلاد الأفغان سنة 1254 هـ ما يوافق 1839 م، اهتم والده بتربيته وتفقيهه فتلقى علوم اللغة العربية والتاريخ وعلوم الشريعة من تفسير وحديث وأصول وكلام وتصوف بالإضافة إلى العلوم العقلية من منطق وغير ذلك، زار العديد من المناطق من بينها مكة المكرمة سنة 1273 هـ ما يوافق 1857 م، كما زار أيضا الأستانة التي لقي فيها ترحيبا ومنزلة كبيرة، كما كانت له عديد من الإسهامات العلمية فيها، ظل متنقلا من بلاد إلى أخرى إلى أن استقر به الحال في الأستانة سنة 1892 م، مكث فيها معززا إلى أن داهمه مرض السرطان في فكه أواخر سنة 1896 م وامتد إلى عنقه فتوفي في 9 مارس 1897 م، للمزيد اطلع جورجي زيدان، المصدر السابق، ص – ص 68 – 75 .

[35] – عبد الرحمان الكواكبي، أم القرى، د ط، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، 1350هـ / 1931 م، ص 4 .

[36] – مما هو متعارف ومتفق عليه بين الباحثين في هذا الموضوع أن هذا الجمعية و هذا الاجتماع لم يجسد على أرض الواقع، وإنما كان تصور من عبد الرحمان الكواكبي لكيفية جمع أفاضل المسلمين في مكة المكرمة وعقد هذه الجمعية من أجل البحث في أسباب تخلف العالم الإسلامي وإيجاد الحلول المناسبة لذلك، لكن اختلفت الآراء حول طبيعة هذه الفكرة وخاصة وأن عبد الرحمان الكواكبي يذكر في كتابه أن لهذه الجمعية أصلا وهذا ما يحتمل العديد من التأويلات، فقد ذهب البعض مثل أحمد أمين في كتابه زعماء الإصلاح في العصر الحديث أن عبد الرحمان الكواكبي ذكر بأن هذه الجمعية لها أصلا من الحقيقة وذلك من باب تأييد الخيال كما يفعل كثير من الروائيين وهذا ما ذهب إليه سامي الدهان كذلك في كتابه عبد الرحمان الكواكبي 1854 – 1902 م، لكن حسب رأينا أن عبد الرحمان الكواكبي كان يقصد من أن لهذه الجمعية أصلا هو أنه سعى إلى عقدها فعليا ولم يكتفي بالجلوس في بيته والاكتفاء بمجرد استخدام ملكة الخيال في تصور عقد هذه الجمعية، وما يدل على ذلك هو رحلته السياحية إلى مختلف بقاع العالم الإسلامي، التي التقى فيها بأفاضل العالم الإسلامي ونخبه، والتي كان يهدف من خلالها استطلاع الآراء والتهيئة للاجتماع في موسم الحج كما يذكر هو في كتابه، أو ربما يحتمل القصد من ذلك أن لهذه الكيفية حول طبيعة الاجتماع بين المسلمين أصل في الدين الإسلامي والتراث الإسلامي .

[37] – سامي الدهان، المرجع السابق، ص 57 .

[38] – عبد الرحمان الكواكبي، المصدر السابق، ص 7 .

[39] – اختيار عبد الرحمان الكواكبي لبيت متطرف في مكة للاجتماع مع الأعضاء المدعوين يذكرنا تاريخياً بنهج الرسول صلى الله عليه وسلم حينما كان يجتمع مع أصحابه في بيت الأرقم بن الأرقم لتعليم الناس تعاليم الدين الإسلامي وإعدادهم لحمل عبئ الدعوة إلى الدين الإسلامي، وربما هذا ما يفسر قوله بأن للجمعية أصلا، يقصد بذلك أن لها مرجعية في التاريخ الإسلامي .

[40] – عبد الرحمان الكواكبي، المصدر السابق، ص 6 .

[41] – كان الهدف من وراء قول عبد الرحمان الكواكبي عن الأعضاء بأنهم يحسنون اللغة العربية وذلك بهدف سهولة التواصل فيما بين الأعضاء وكي يفهم بعضهم أفكار بعض، وليس القصد منه الانحياز والميل للجنس العربي أو اللغة العربية كما يعتقد بعض القوميون الذين يرون فيه قوميا يدعوا إلى القومية العربية، بل هذا عكس ما كان يفكر فيه ويدعوا إليه الكواكبي، والأعضاء الذي افترض حضورهم لو تأملنا في أجناسهم لوجدناهم من كل أقطار العالم الإسلامي عربهم وعجمهم بما فيهم حتى الأتراك .

[42] – عبد الرحمان الكواكبي، المصدر السابق، ص ص 6 7 .

[43] – أمال رمضان عبد الحميد صديق، الحياة العلمية في مكة 1115 – 1334 هـ / 1703 – 1916 م، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1427هـ – 2006 م، ص 26 .

[44] – نفسه، ص – ص 33 – 192 .

[45] – عبد الرحمان الكواكبي، المصدر السابق، ص ص 193 194 .

[46] – نفسه، ص ص 16 17 .

[47] – نفسه، ص – ص 8 – 17 .

[48]– سورة آل عمران، الآية 159 .

[49] – عبد الرحمان الكوكبي، أم القرى، المصدر السابق، ص ص 58 59

[50] – نفسه، ص ص 45 59 .

[51] – الاستبداد : من بين تعاريفات الاستبداد أنه صفة للحكومة المطلقة العنان، التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء وبلا خشية حساب ولا عقاب محققين، وتفسير ذلك هو كون الحكومة إما غير مكلفة بتطبيق تصرفها على الشريعة، أو على أمثلة تقليدية، أو على إرادة الأمة، وهذه حال الحكومات المطلقة، أو أنها مقيدة بنوع من ذلك ولكنها تملك بنفوذها إبطال قوة القيد بما تحوى، وهذه حال أكثر الحكومات التي تسمي نفسها بالمقيدة أو الجمهورية، للمزيد اطلع على عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم أسعد السحمراني، ط 3، دار النفائس، لبنان، 1427هـ – 2006 م، ص 38 .

[52] – نفسه، ص 7 .

[53] – نفسه، ص ص 17 27 .

[54] – رشيد رضا : هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، ولد سنة 1272 هـ / 1865 م، أحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب، العلماء بالحديث، والأدب والتاريخ والتفسير، ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام)، تعلم فيها ورحل إلى مصر بعد ذلك سنة 1315 هـ أين تتلمذ على يد الشيخ محمد عبده، أصدر مجلة المنار التي كان يبث فيها أرائه الإصلاحية في المجال الديني والاجتماعي، كما ألف العديد من الكتب منها محاورات المصلح والمقلد، توفي سنة 1354 هـ / 1935 م، للمزيد اطلع خير الدين الزركلي، ج 6، المرجع السابق، ص 126 .

[55] – عبد الله النديم : ولد سنة 1261 هـ / 1845 م وتوفي سنة 1313 هـ / 1896 م، من أسرة فقيرة بسيطة، لم تتوفر له الظروف والإمكانيات المناسبة للتعلم، مع هذا تفوق في الكتاب فأرسله أبوه إلى الأزهر، فتلقى هناك العلم إلا جانب مجالسته لحلقات العلم التي كانت تقام في بيوت العلماء والشيوخ، عاد إلى الإسكندرية سنة عام 1879 م وعمره الخامسة والثلاثين وقد كسب من خبرة السنين التي قضاها الكثير، كتب العديد من المقالات التي كان يهدف من خلالها إلى نشر الوعي في وسط الناس و خاصة بالأمور السياسية، للمزيد اطلع أحمد أمين، المرجع السابق، ص – ص 33 – 41 .

[56] – رفاعه الطهطاوي : هو رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي، ولد سنة 1216 هـ / 1801 م، عالم مصري، من أركان النهضة العلمية المصرية في العصر الحديث، ولد في طهطا وقصد القاهرة سنة 1223 هـ وهناك تعلم في الأزهر، أرسلته الحكومة المصرية إماما للوعظ والإرشاد على رأس بعثة علمية إلى فرنسا، وخلال فترة إقامته في فرنسا تعلم اللغة الفرنسية وتعلم الجغرافية والتاريخ، ولما رجع إلى مصر كانت له العديد من الإسهامات في نهضة مصر الحديثة، منها أنه تولى رئاسة الترجمة في المدرسة الطبية وغيرها من المناصب، كما ألف العديد من الكتب منها المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، وترجم العديد من الكتب، كما كانت له إسهامات في الصحافة وأسس على إثرها جريدة الوقائع المصرية، توفي سنة 1290هـ / 1873 م، للمزيد اطلع خير الدين الزركلي، الأعلام، ج 3، المرجع السابق ص 29 .

[57] – منذر معاليقي، معالم الفكر العربي في عصر النهضة، تقديم، ياسين الأيوبي، د ط، دار اقرأ، بيروت، د ت، ص ص 76 77 .

[58] – رئيف خوري، الفكر العربي الحديث أثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي، تحقيق وتقديم محمد كامل خطيب، ط 3، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1993 م، ص 203 .

[59] – أحمد أمين، المصدر السابق، ص 74 .

[60] – إن اقتراح عبد الرحمان الكواكبي لأن تقوم هذه الهيئة بانتخاب الخليفة يدل على أن هذا المقترح لم يأتي اعتباطا، وإنما هو مستمد من التاريخ الإسلامي يوم أن كان المسلمين يعتمدون على أهل الحل والعقد في اختيار من يتولى خلافة المسلمين .

[61] – عبد الرحمان الكواكبي، أم القرى، المصدر السابق، ص ص 207 . 208

[62] – نفسه، ص 206 .

[63] – منير صغيري، آراء أقطاب الجامعة الإسلامية وصداها في بلدان المغرب العربي جمال الدين الأفغاني – محمد عبده – رشيد رضا – شكيب أرسلان، نماذج، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل. م. د)، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 1436هـ – 2015 م/ 1437 هـ – 2016 م، ص ص 78 79 .

[64] – عبد الرحمان الكواكبي، أم القرى، المصدر السابق، ص ص 195 . 196

[65] – محمد رشيد رضا، الخلافة، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، 2012 م، ص 72 .

[66] – عبد الحكيم صالح غيث أحمد، جمال الدين الأفغاني وفكرة تأسيس الجامعة الإسلامية (1254 – 1313 هـ / 1838 – 1897 م) مجلة كلية الآداب، د مج، العدد العاشر، جامعة مصراتة، د ت، ص 95 .

[67] – عبد الرحمان الكواكبي، أم القرى، المصدر السابق، ص ص 207 . 208

[68] – حميدي أبو بكر صديق ومحمد علي، إشكالية التوجه والتحيز في دراسة التاريخ العثماني من خلال كتاب أم القرى لعبد الرحمان الكواكبي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 5، المركز الجامعي علي كافي تندوف، الجزائر، جوان 2018 – شوال 1439 هـ، ص 102 .

[69] – عبد الرحمان الكواكبي، أم القرى، المصدر السابق، ص– ص 210 – 215 .

[70] – محمد رشيد رضا، الخلافة، المصدر السابق، ص 22 .

[71] – عبد الرحمان الكواكبي، أم القرى، المصدر السابق ص 210 .

– قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

قائمة المصادر

1 – أمين أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 م .

2 – زيدان جورجي، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج 1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 م .

3 – الكواكبي عبد الرحمان، أم القرى، د ط، المطبعة المصرية بالأزهر، 1350هـ / 1931 م .

4 – الكواكبي عبد الرحمان، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم أسعد السحمراني، ط 3، دار النفائس، 1427هـ – 2006 م .

5 – العقاد محمد عباس، عبد الرحمان الكواكبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012 م .

6 – رضا محمد رشيد، الخلافة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، 2012 م .

7 – رضا رشيد، مجلة المنار، مج 5، ج 1، د ط ، مصر، 1320 هـ / 1902 م .

المراجع

1 – أحمد صلاح زكي، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، ط 1 ، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001 م .

2 – آل الجندي أدهم، أعلام الأدب والفن، ج 2، مطبعة الإتحاد، دمشق، 1985 م .

3 – أنطونيوس جورج، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عياد، ط 8 ، دار العلم للملايين، بيروت، 1987 م

4 – الدهان سامي، عبد الرحمان الكواكبي 1854 – 1902 م، دار المعارف، مصر .

5 – الزركلي خير الدين، الأعلام، ج 3 ، ج 6، ط 15، دار العلم للملايين، لبنان، 2002 م .

6 – طحان محمد جمال، الأعمال الكاملة للكواكبي، ط 7، مركز دراسات الوحدة العربية، سورية، 2006 م .

7 – معاليقي منذر، معالم الفكر العربي في عصر النهضة، تقديم، ياسين الأيوبي، دار إقرأ، بيروت .

8 – خوري رئيف، الفكر العربي الحديث أثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي، تحقيق وتقديم محمد كامل خطيب، ط 3، منشورات وزارة الثقافة،، دمشق، 1993 م .

المقالات

1 – أبو بكر صديق حميدي و علي محمد، إشكالية التوجه والتحيز في دراسة التاريخ العثماني من خلال كتاب أم القرى لعبد الرحمان الكواكبي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 5، المركز الجامعي علي كافي، تندوف، الجزائر، جوان 2018 – شوال 1439 هـ .

2 – عبد الحكيم صالح غيث أحمد، جمال الدين الأفغاني وفكرة تأسيس الجامعة الإسلامية (1254 – 1313 هـ / 1838 – 1897 م)، مجلة كلية الآداب، العدد العاشر،، جامعة مصراتة .

الرسائل الجامعية

1 – صغيري منير، آراء أقطاب الجامعة الإسلامية وصداها في بلدان المغرب العربي جمال الدين الأفغاني – محمد عبده – رشيد رضا – شكيب أرسلان، نماذج، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل. م. د)، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 1436هـ – 2015 م/ 1437 هـ – 2016 م .

2 – رمضان عبد الحميد صديق أمال، الحياة العلمية في مكة 1115 – 1334 هـ / 1703 – 1916 م، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أم القرى، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، المملكة العربية السعودية، 1427هـ – 2006 م .